

بحر قزوين في السياسة الدوليّة "دراسة في ظل متغيرات الساحة الإقليمية والدوليّة"

Caspian Sea in International Politics
"A Study in Light of Regional & International Changes"



ياسر محمد عليوي المحمدي^{*1}، المعهد التقني، الجامعة التقنية الوسطى، الأنبار – العراق¹

Yasir Mohammed Ealewi Almihimdi^{*1}, Technical Institute/ Alwista Technical University
Anbar - Iraq

أ.د. سعود أحمد ريحان المشهداني^{*2}، كلية القانون، جامعة الفلوجة، – العراق²

Dr. Saud.Ahmed.Raihan al.Mishedani^{*2}, / College of Law - University of Fallujah Iraq

تاريخ الاستلام: 2024/09/10 تاريخ القبول للنشر: 2024/12/03 تاريخ النشر: 2024/12/30.



ملخص: تتزايد أهمية منطقة دول حوض بحر قزوين في السياسة الدوليّة، وذلك لما شهدته وتشهده هذه المنطقة من نزاعات وصراعات وتحولات عديدة، أبرزها ما حصل بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، حيث شهدت المنطقة حراكاً متواصلاً وتغييرات حادة، كما شهدت العلاقات بين دول حوض بحر قزوين ودول العالم الأخرى، اختلافات كبيرة في الموقف حول قضية تحديد الوضع القانوني لبحر قزوين، كما وشهدت تغييرات في المواقف طوال عقدين من الزمن حتى تم التوصل إلى تقارب توفيقي بين الرؤى المختلفة، والتوقيع على معاهدة أكتاو لتحديد الوضع القانوني لبحر قزوين سنة 2018.

الكلمات المفتاحية: بحر قزوين: الاتحاد السوفيتي: قلب الأرض: معاهدة أكتاو.

Abstract: The Caspian Sea region is increasingly important in international politics, and this region has witnessed many conflicts and conflicts, including what it achieved after the Soviet coup The former witnessed the region's connected movements and eventual changes, As you have witnessed the relations between the Caspian Sea Basin and the rest of the world, there are major differences in the position on the issue of determining the legal status of the Caspian Sea And the views of the time until the consensus between the different views was reached, and the AKTAU treaty was signed to define the legal situation Caspian Sea in 2018.

Key words: Caspian Sea: Soviet Union: Heart of the Earth: Aktau Treaty



مقدمة

تتمتع منطقة دول حوض بحر قزوين بأهمية استراتيجية كبيرة لوقوعها في منطقة اسماها المنظر الاستراتيجي البريطاني (ماكندر)، بداية القرن العشرين بـ (قلب الارض)، فهي جزء من أوسط آسيا، وتمثل حلقة وصل بين قارتي آسيا وأوروبا، كما أنها منطقة غنية بموارد الطاقة، كالنفط والغاز والموارد المعدنية كاليورانيوم والالمنيوم، والمنتجات الزراعية.

وقد تزايدت الأهمية الاستراتيجية لهذه المنطقة منذ سقوط الاتحاد السوفيتي، وباتت ميداناً للتنافس الدولي والاقليمي على الهيمنة بين القوى الكبرى كروسيا الاتحادية التي تعتبرها مجالاً حيويًا لها، والولايات المتحدة التي تطمح من خلال الهيمنة على هذه المنطقة إلى اضعاف منافسيها المحتملين على قيادة العالم كالصين وروسيا بحرمانهما من مجالهما الحيوي، اما الصين فتشكل دول المنطقة حجر الزاوية في مشاريعها الاقتصادية العملاقة، كمبادرة الحزام والطريق ومنظمة شانغهاي للتعاون، واللذين تطمح من خلالهما إلى تعديل موازين القوة العالمية لصالحها، على حساب الهيمنة الأمريكية والغربية،⁽¹⁾ كما تتنافس في المنطقة ايضاً، مصالح القوى الاقليمية الطامحة إلى رفع مكانتها الاقليمية والدولية، ومن خلال بسط نفوذها السياسي والاقتصادي والثقافي على بلدان هذه المنطقة التي استقلت عن الاتحاد السوفيتي (السابق)، وعلى رأسها كل من إيران وتركيا .

أما بالنسبة لإشكالية البحث: فترتبط إشكالية الدراسة بأهمية مضمونها على المستويين السياسي والقانوني، حيث تتبع الإشكالية من تساؤل مهم مفاده، ما مدى تأثير المتغيرات الدولية الحاصلة في الساحة الدولية والإقليمية، في تحديد الوصف القانوني لبحر قزوين من جهة، وإبراز الدور الحيوي لدول لمنطقة دول حوض بحر قزوين في السياسة الدولية؟ والإجابة على هذا التساؤل تعد مسألة تحتل أهمية بالغة لدى دول المنطقة المحيطة لبحر قزوين، ودول التأثير الدولي والإقليمي، فبالنسبة لدول الجوار الإقليمي لدول حوض بحر قزوين، كالبلدان العربية بسبب قرب المنطقة الجغرافي من المشرق العربي، ووجود العديد من القواسم المشتركة بينها وبين منطقتان، أبرزها الدين الاسلامي الذي تعتقه معظم شعوب المنطقة، فضلاً عن كونها منافس اقتصادي محتمل للشرق الاوسط في مجال أنتاج النفط والغاز الطبيعي.

¹. للمزيد في هذا الصدد، ينظر د. صدام فيصل المحمدي ود. سعود أحمد المشهداني، مبادرة الحزام والطريق، مشروع للتنمية الشاملة تقدمه الصين للعالم، دراسة قانونية بمنظور جيوسياسي، إصدارات مركز الرافدين للحوار (31)، النجف الأشرف 2023، ص 24 وص 41.



أما منهجية البحث، فسنتناول البحث في هذه الدراسة وفق المنهج الوصفي، والذي نعتمده في بيان المواقف والسياسات المتبعة في ظل الأهمية التي تحتلها منطقة بحر قزوين في السياسة الدولية، والدور الفاعل الذي لعبته تاريخياً هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، نعتمد المنهج التحليلي الذي يفيدنا في إستكناه الدور المتصاعد الذي باتت تلعبه هذه المنطقة في الساحة الدولية، منذ انهيار الاتحاد السوفيتي، ومحاولة إستشراف مستقبل هذه المنطقة في ظل المتغيرات الحاصلة.

أما خطة البحث، فنقسم هذه الدراسة إلى مبحثين، يتناول المبحث الأول منها أهمية دول حوض بحر قزوين وتاريخ الصراعات فيه، ونتناول فيه أهمية الموقع الجغرافي من حيث خصائص المنطقة وأهمية موقعها الاستراتيجي وثرواته، هذا من جانب، ومن جانب آخر، نستعرض الأهمية التاريخية لمنطقة بحر قزوين والدور الذي لعبته تاريخياً في السياسة الدولية، مع التركيز على حقبة الاتحاد السوفيتي (السابق)، وأخيراً سقوط الاتحاد السوفيتي، وتداعياته على المنطقة.

أما المبحث الثاني، فسنخصصه للوقوف على تأثير المتغيرات السياسية في تحديد التوصيف القانوني لبحر قزوين، وذلك من خلال تناول مشكلة تحديد الوضع القانوني لبحر قزوين، والخلافات التي نشأت حول هذا الموضوع مع استقلال دول حوض قزوين المنسلخة عن الاتحاد السوفيتي (السابق)، وتباين وجهات النظر الذي وصل أحياناً حد النزاع بين دول قزوين، والمفاوضات المطوّلة التي دامت عقدين من الزمن، بين تلك الدول حتى توصلت إلى عقد اتفاقية اکتاو سنة 2018.

وسنختتم الدراسة بخاتمة نضمنها أبرز النتائج التي توصلنا إليها من هذه الدراسة، والتي نرى في تسليط الضوء عليها أهمية خاصة.

المبحث الاول

أهمية دول حوض بحر قزوين وتاريخ الصراعات فيه

يتميز بحر قزوين بموقعه الاستراتيجي بين قارتي اوربا وآسيا من جهة، وبالقرب من مركز أوراسيا في المنطقة التي اسماها ماكندر "بقلب الارض" كما تحتوي هذه المنطقة على الكثير من موارد الطاقة والثروات المعدنية والحيوية. وعلى هذا، فإننا سنبين أهمية دول حوض بحر قزوين، والصراعات الذي مرت بها دول منطقة بحر قزوين بالتفصيل، وذلك في مطلبين وكما يأتي:

المطلب الاول

أهمية دول حوض بحر قزوين

تحتل منطقة دول حوض بحر قزوين بأهمية متزايدة، كونها تقع في منطقة جغرافية تمثل قلب العالم، فضلاً عن الثروات الطبيعية التي تحتويها المنطقة، لذلك سنفصل في بيان الأهمية الجغرافية والإقتصادية، التي تحتل بها هذه المنطقة الحيوية من العالم، في فرعين كالآتي:

الفرع الأول: أهمية دول حوض بحر قزوين الجغرافية: بحر قزوين بحر مغلق خفيف الملوحة، يقع بين جنوب غرب آسيا وأقصى الشرق من قارة أوربا (روسيا الأوروبية)، ويسمى بحر قزوين نسبة لمدينة قزوين الإيرانية، التي تقع على ساحله الجنوبي، ويعد بحر قزوين اكبر المسطحات المائية المغلقة على وجه الأرض، إذ تتراوح مساحته بين 370 ألف و420 ألف كم² حسب تأثير العوامل الطبيعية،⁽²⁾ وملوحة مياه بحر قزوين أقل ثلاث مرات من ملوحة المحيطات العالمية فكل لتر من مياه البحر يحتوي على 10-13 غرام من الملح ويعود ذلك إلى انعزاله عن المحيطات العالمية منذ أواخر العصور الجليدية وتلقيه كميات كبيرة من مياه الأنهار والجليد الذائب العذبة.⁽³⁾

أما دول حوض بحر قزوين، فتشمل حسب التقسيم الإقليمي 23 لبحر قزوين، الصادر ضمن تقييم المياه العالمي لعام 2006 كامل، أحواض الأنهار التي تصب فيه أي كامل أراضي أذربيجان وأرمينيا وأجزاء من كل من روسيا وكازاخستان وإيران وتوركمانستان وجورجيا وتركيا.⁽⁴⁾

وشهد بحر قزوين تقلصاً مستمراً في حجمه وعمقه، فقد كان في ذروة العصر الجليدي الرابع منذ خمسين مليون سنة يحتل مساحة تبلغ ضعف مساحته الحالية حيث كان يتصل بالبحر الأسود غرباً فاصلاً أوروبا عن

². إيمان السيد، بحر قزوين، موقع البحار على شبكة الانترنت 20/4/2009.

³. Nicoia Aladin and Igor Polatinkov. The Caspian sea (Thematic paper), Lake Basin Management Initiative, 28\June\2004, P.2

⁴. United Nations Environment Program. Global International waters assessment. Reginal assessment 23, Caspian sea, United Nations Environment Program, 2006, P.17



جبال القوقاز كما كان يغمر معظم سهول روسيا جنوب جبال الأورال، ويتوغل شرقاً في أواسط آسيا حتى يتصل ببحر أورال ويتجاوزه مخترقاً جمهوريات آسيا الوسطى الحالية⁽⁵⁾. وما زال تقلص البحر مستمراً، لأن ما يتلقاه البحر من روافده المتمثلة أساساً في مياه الأنهار، والتي تصب فيه أقل مما يفقده نتيجة للتبخّر.⁽⁶⁾

ويبلغ طول بحر قزوين 1225 متراً، ويتراوح عرضه بين 180 و 550 كم، بمتوسط عرض مقداره 320 كم، أما عرضه الأعظم فيبلغ 566 كم أما حجم مياه البحر فيبلغ 77000 كم³.⁽⁷⁾ ويبلغ أقصى عمق مسجل في بحر قزوين 1025، ويبلغ معدل عمقه 184 م ويقسم قاع بحر قزوين إلى ثلاث مناطق متساوية المساحة تقريباً بيد إنها متفاوتة في العمق وحجم المياه بشكل كبير، فشمال بحر قزوين هو المنطقة الأكثر ضحالة فرغم انه يشكل 29% من مساحة البحر، إلا أنه لا يحتوي إلا على 1% من مياهه ويبلغ معدل العمق في شمال البحر 6 أمتار.⁽⁸⁾

ويرجع ذلك إلى تركيز كبريات الأنهار التي ترفد البحر بالمياه في الجزء الشمالي منه، حيث تتربسب في البحر سنوياً مقادير ضخمة من الغرين يحملها كل من نهري الفولغا والأورال على وجه الخصوص، وتعيق كثرة الترسبات والجزر والركامات الرملية وضحالة البحر الملاحة في الجزء الشمالي من البحر.⁽⁹⁾ ويزيد عدد الجزر الصغيرة في بحر قزوين عن 50 جزيرة، تبلغ مساحتها الإجمالية 350 كم²،⁽¹⁰⁾ شواطئ البحر الشرقية والشمالية ضحلة وسهلة،⁽¹¹⁾ وتمثل سواحله الشمالية امتداداً طبيعياً لسهول جنوب روسيا وسيبيريا، من حيث الظروف الجغرافية والمناخية، بما في ذلك شتاء قاسي البرودة.⁽¹²⁾

⁵. هـ. ج. ويلز. موجز تاريخ العالم، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد (القاهرة: كتب عربية، 1958) ص 89.

⁶. فقد كانت مساحة البحر خلال سبعينات القرن الماضي تقدر بـ (440) ألف كم²، تقلصت منذ ذلك الحين لتبلغ اليوم 357 ألف كم²، ومازال البحر في تقلص مستمر. ويقدر البعض المدة المتوقعة لجفاف بحر قزوين، إذا ما استمر تناقص مياهه على وتيرته الحالية بـ (250 عاماً). للمزيد ينظر: شركة ترادكسيم – شركة سويسرية مساهمة. مجلة المعرفة "المجلد الثاني" (بيروت: الشركة، مطابع الأهرام التجارية، 1970). ص 354. و سليم حداد. منطقة بحر قزوين وأهميتها الاستراتيجية في العلاقات الدولية (دم: دار المساعدة السورية للتأليف والترجمة والنشر، 2003) ص 13. وسليم حداد. مرجع سابق، ص 13

⁷. Nicoia Aladin and Igor Polatinkov. Op Cit, P.4.

⁸. Nicoia Aladin and Igor Polatinkov. Ibid. P 6

⁹. شركة ترادكسيم – شركة سويسرية مساهمة. مرجع سابق، ص 356

¹⁰. وتتراوح درجة حرارة مياه البحر صيفاً بين 24 – 26 مئوية وقد تصل إلى 36 درجة عند خليج كراسنوفودسك في تركمانستان وتتراوح درجات حرارة المياه شتاءً بين 8، 10 مئوية وقد تصل إلى الصفر أحياناً... سليم حداد. مرجع سابق، ص 13.

¹¹. المرجع نفسه، ص 14.

¹². Nicoia Aladin and Igor Polatinkov. Op Cit, P.6.



أما الشواطئ الجنوبية والغربية، فإنها جبلية مرتفعة وقليلة الغابات⁽¹³⁾، ويصب في بحر قزوين حوالي 130 نهراً ولكن ثمانية منها فقط هي التي تزوده بالجزء الأكبر من مياهه⁽¹⁴⁾. ونهر الفولغا هو أكبر وأهم الأنهار التي تصب في بحر قزوين ويصب في الأراضي الروسية شمال بحر قزوين، وهو المصدر الرئيس لمياه البحر، إذ تمثل مياهه 80% من مياه الأنهار التي تصب في بحر قزوين.⁽¹⁵⁾ ويبلغ طول سواحل بحر قزوين 5580 كم،⁽¹⁶⁾ وتطل على سواحل بحر قزوين خمس دول هي بحسب طول سواحلها كل من: كازاخستان التي تملك أطول إطلالة على البحر، تليها روسيا، ثم تركمانستان وإيران وأذربيجان.⁽¹⁷⁾

الفرع الثاني: الثروات والأهمية الاقتصادية والمشكلات البيئية: يتميز بحر قزوين بخصامة ثرواته خاصة النفطية والغازية منها، إذ يعد ثالث أغنى مصادر الطاقة بعد الخليج العربي وسيبيريا مما جعل الوصول إلى هذه الثروات محط أطماع الدول الكبرى والقوى الإقليمية الفاعلة والمحيطية بالمنطقة، كما أصبحت مسألة اقتسام

¹³. الشواطئ الجنوبية لبحر قزوين فإنها جبلية مرتفعة وقليلة الغابات، باستثناء سهل ساحلي غني بالنباتات يفصل بين ساحل البحر وجبال البرز التي يصل أعلى ارتفاع لها (19000) قدم في جبل دماوند مشكلة شريطاً ضيقاً يفصل بين سواحل بحر قزوين وإيران الصحراوية الداخلية ويتصل القسم الغربي من جبال البرز بإقليم أذربيجان جنوب غرب بحر قزوين ويتميز هذا الجزء بكثافة سكانه وخصوبة وديانته وازدهار الزراعة فيها. أما شواطئ بحر قزوين الغربية فإنها جبلية مكسوة بالغابات وذات تربة غنية شديدة الخصوبة .. إذ تشرف عليها جبال القوقاز التي تمثل حاجزاً طبيعياً كبيراً بين أوروبا وآسيا والتي يبلغ طولها 1100 كم 800 متراً منها يزيد ارتفاعها على 2000 متر فوق مستوى سطح البحر فيما يبلغ ارتفاع قمة جبل البروز أعلى قمم القوقاز إلى 5630 متراً. وتغطي معظم قممها التي يزيد ارتفاعها على 2700 متراً الثلوج الدائمة. وتشتهر المنطقة بكثافة غاباتها وتنوع أشجارها وخصوبة أرضها. ... شركة تراكسكيم – شركة سويسرية مساهمة. المعرفة، المجلد السادس عشر (بيروت: مطابع الأهرام التجارية، 1970) ص 2932، 2933، وإحسان عبد الحميد خن. الشيشان – حرب إبادة وجريمة عصر (دمشق: وزارة الثقافة والإعلام، 1997) ص 8.

¹⁴. كما تصب في بحر قزوين أيضاً كل من أنهار تيرك الذي يصب فيه عند سواحل جمهورية داغستان الروسية شمال القوقاز. كما يصب فيه نهر الاورال القادم من كازاخستان ويعد ثاني الأنهار التي تصب في البحر من حيث الحجم ويصب في الجزء الشمالي من البحر كما يصب فيه النهر الأبيض أو (سفيد روز) في إيران جنوب البحر، ونهر كورا القادم من جمهورية أذربيجان غرب البحر، ونهر آترك الذي ينبع من جبال كويت داغ في إيران ويشكل الحد الفاصل بين إيران وأذربيجان. ومن الأنهار الأقل أهمية التي تصب فيه كل من سولكا وسامور، ... إيمان السيد، مرجع سابق ودار المشرق. المنجد في الإعلام، ط7 (بيروت: الدار، 1973) ص1. وفي اللغة الإنكليزية، ينظر:

NicoiaAladin and Igor Polatinkov.Op Cit ,P.6.& p 2.

¹⁵ .NicoiaAladin and Igor Polatinkov.Op Cit ,P.6.

¹⁶ .NicoiaAladin and Igor Polatinkov. .Ibid, P.2

¹⁷. نخبة من العراقيين المختصين. أطلس العراق والوطن العربي والعالم، (بغداد: دار القرطاسية، د.ت) ص 51.



ثروات البحر محط اختلاف الدول المطلة عليه بعد انهيارالإتحاد السوفيتي. وتقدر ثروات بحر قزوين النفطية طبقا لتقديرات وكالة الطاقة الدوليّة بين 17 و49 مليار برميل من النفط و232 تريليون قدم مكعبة من الغاز الطبيعي.⁽¹⁸⁾

وقد اكتشف النفط في شبه جزيرة إيزيرون في أذربيجان، منذ أواسط القرن التاسع عشر(1846)، كما ويحتوي بحر قزوين على ثروة حيوية كبيرة، كما يتميز بحر قزوين بفرادة أنواع الكائنات الحية التي تعيش فيه، فقد أدت عزلته المبكرة عن المحيطات العالمية إلى تطور أنواع مختلفة من الحياة فيه، حتى أن 90% من الأنواع التي تعيش فيه لا توجد في أي مكان آخر من العالم.⁽¹⁹⁾ إذ يؤوي البحر حوالي 850 نوعا من الأحياء البحرية.⁽²⁰⁾ منها 79 نوعا من اللاقاريات و476 نوعا من الفقاريات و170 نوعا من الطفيليات.⁽²¹⁾

وتعرف مياه بحر قزوين بغناها بالثروة السمكيّة، إذ يعيش فيها 78 نوعا من الأسماك، أشهرها سمك الحفش الكبير الذي يستخرج منه الكافيار الأسود أعلى المواد الغذائية سعراً وقيمة غذائية، كما تصطاد من مياه البحر أسماك السالمون والرنجة والشبوط. وتشكل مصبات الأنهار في بحر قزوين المكان الطبيعي الذي يستخدمه سمك الحفش، الذي يشتهر به بحر قزوين لوضع بيوضه، وأبرز نقاط اصطياد سمك الحفش هما مصبي نهر الفولغا والنهر الأبيض "سفيد رود" لاتساعهما عند مصبهما.⁽²²⁾

غير أن التنوع الإحيائي لبحر قزوين أخذ بالتناقص بسبب النشاطات البشرية والتغيرات البيئية التي فرضتها فقد أدى إنشاء السدود على الأنهار التي ترفد البحر بالمياه العذبة إلى انحسار فترات الفيضان التي تتدفق الأنهار خلالها بعنف إلى بحر قزوين مزودة إياه بالأوكسجين الذي تحتاجه الأحياء والتربة المغذية

¹⁸. أحمد طاهر، (استغلال ثروات بحر قزوين -الفرص والمعوقات) مجلة السياسة الدولية العدد 180، نيسان، 2010، ص

166. وشركة ترادكسيم - شركة سويسرية مساهمة. مرجع سابق، ص 2932، 2933

¹⁹. وكان حقل باكو في أذربيجان حتى ستينيات القرن المنصرم يعد أكثر حقول النفط في العالم إنتاجاً، كما وتحتل منطقة بحر قزوين المركز الرابع عالمياً في احتياطي الغاز الطبيعي القابل للاستخراج بعد سيبيريا وإيران وقطر إذ يقدر احتياطي المنطقة من الغاز الطبيعي بـ232 تريليون قدم مكعب من الغاز. ويعد حقل تنجيز الواقع في كازاخستان على السواحل الشمالية الشرقية لبحر قزوين ثاني أكبر حقول النفط في العالم حالياً. كما تعتبر حقول الغاز حقول تركمانبashi "كراسنوفودسك سابقاً" في تركمانستان من أغنى حقول العالم بالغاز الطبيعي. ويكيبيديا الموسوعة الحرة على شبكة الانترنت، بحر قزوين، متاح على الرابط <https://ar.wikipedia.org/wiki> وكذلك:

NicoiaAladin and Igor Polatinkov. Op Cit ،P.10

²⁰. أحمد طاهر، مرجع سابق، ص 166

²¹. NicoiaAladin and Igor Polatinkov. Ibid. P.2

²². ويكيبيديا الموسوعة الحرة على شبكة الانترنت، المرجع السابق.



لنباتات البحر وأحيائه، ونتج عن ذلك نقص في كمية الأوكسجين الواصلة إلى أعماق البحر، إذ بات من النادر وجود الحياة في البحر على عمق يزيد عن 100 متر تحت مستوى سطح البحر.

كما أدت ضخامة مشروعات السدود المقامة على الأنهار التي تصب في البحر إلى تناقص سنوي في منسوب مياه البحر منذ منتصف ثلاثينيات القرن العشرين، بلغ ذروته في السبعينات والثمانينات، حين بلغ الانخفاض السنوي لمياه البحر 10-15 سم، كما نتج عن إنشاء تلك السدود انحسار مساحة مناطق تبييض الأسماك في مصبات الأنهار. فقد تراجعت مساحة مناطق تبييض أسماك الحفش على سبيل المثال من 3-4 آلاف هكتار إلى 400 هكتار فقط أي بنسبه 12% من مساحتها الأصلية ويشير التقرير الرسمي حول بيئة الاتحاد السوفيتي (السابق) لعام 1994-1995 إلى أن الخسارة السنوية لسمك الحفش بسبب انخفاض مناسيب انهار بحر قزوين بلغت 10000 طناً، أما أسماك الرنجة فقد اختفت من مصبات الأنهار التي أقيمت عليها السدود، ولم تعد تبيض إلا في مصبي نهري الاورال وسفيد رود حيث لم تقم أية سدود فيما أوشك سلمون بحر قزوين على الانقراض بسبب عدم قرته على بلوغ مناطق تبيضه في أعالي الأنهار، بسبب السدود التي حالت بينه وبينها. (23)

كما أصيبت البيئة الطبيعية للبحر بأضرار كبيرة نتيجة استخدام المبيدات الحشرية القديمة شديدة السمية، كمادة "دي دي تي" وتتسرب هذه المبيدات البحر من خلال أحواض الأنهار التي تصب فيه. (24)

ولبحر قزوين أهمية ملاحية كبيرة، إذ يربطه نهر الفولغا بمحيطات العالم، فهو يتصل ملاحيا ببحر آزوف، وعبره بالبحر الأسود من خلال قناة ماينتس التي تربط بين بحر آزوف ونهر الفولغا بين استراخان وفولغا غراد والتي تصلح لإبحار السفن النهرية. (25) كما يرتبط نهر الفولغا ببحر البلطيق عبر ممر فولغا المائي البلطقي وبالبحر الأبيض، (26) المتصل بالمحيط المنجمد الشمالي عن طريق نظام دفين، وقناة بيلومود البلطيقية. (27)

وأهم الموانئ المطلّة على بحر قزوين باكو عاصمة أذربيجان وأستراخان على دلتا نهر الفولغا في روسيا، وكراسنوفودسك في تركمانستان وماختشكالا عاصمة جمهورية داغستان الروسية شمال القوقاز، وبندر إنزالي

²³ .NicoiaAladin and Igor Polatinkov. Op Cit ,P(8)(12)

²⁴ .United Nations Environment Program. Op cit. P.48

²⁵ .سليم حداد. مرجع سابق، ص 14.

²⁶ .خليج في شمال روسيا تبلغ مساحته اقل من نصف مساحة الخليج العربي تحيط به شبه جزيرة كولا من الشمال ومنطقة اركانجلسك من الجنوب وفنلندا الروسية من الغرب بينما يرتبط من الشرق بالمحيط المنجمد الشمالي.

²⁷ .NicoiaAladin and Igor Polatinkov. Op Cit ,P.11



وبندرتركمان في إيران وأنشط الخطوط الملاحية في البحر هو طريق باكو – كراسنوفودسك الرابط بين الضفة الشرقية والغربية للبحر. (28)

المطلب الثاني

تاريخ الصراع في منطقة دول حوض بحر قزوين

حَقَلَتْ منطقة بحر قزوين بالنشاط البشري منذ عصور ما قبل التاريخ، فقد كانت سواحله موطنًا لكثير من القبائل الغازية والحضارات المزدهرة. وكانت على الدوام محطة تمر بها الغزوات الكبرى التي غيرت مجرى تاريخ العالم.

وعلى ذلك فإننا سنقوم باستعراض تاريخي للصراعات التي نشبت في هذه المنطقة الحيوية من العالم، في فرعي كالآتي:

الفرع الأول: بحر قزوين منذ أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي وبداية العصور الحديثة: منذ أقدم العصور كانت المناطق الواقعة إلى الشمال من بحر قزوين في جنوب روسيا، موطنًا للقبائل الآرية التي غزت منذ مطلع الألف الثاني قبل الميلاد، المناطق المتحضرة في الشرق الأدنى والعالم الإيجي والهند وأوروبا (29). ومن هذه القبائل الحثيين الذين استقروا في الأناضول في حدود 2000 ق. م، وأسسوا إمبراطورية نافست مصر في أوج قوتها، والميتانيين والهوريين الذين أسسوا دولة في شمال وادي الرافدين وبلاد الشام، إلى أن قضى عليها الآشوريون بعد صراع طويل، والإغريق الذين دمروا الحضارة الميونية (الإيجية) بحدود القرن الثاني عشر قبل الميلاد. (30)

وفي منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، نشأت على سواحل بحر قزوين الجنوبية الغربية مملكة اوراراتو التي أسسها الخالديين أو قدماء الأرمن التي تركزت حول بحيرتي وان واورومية وأنشأت حضارة مزدهرة، توسعت وبلغت ذروة قوتها في عهد ملكها ارجيتيس، إذ شملت جنوب القوقاز وشمال غرب إيران وشرق الأناضول. (31)

²⁸. سليم حداد. مرجع سابق، ص 14.

²⁹. * نسبة إلى بحر ايجة المتفرع عن البحر المتوسط والذي تطل عليه كل من اليونان وغرب تركيا وجزيرة كريت حيث نشأت على سواحل حضارة مبكرة يرجح أنها بدأت في جزيرة كريت وامتدت إلى اليونان وسواحل غرب الأناضول.

³⁰. طه باقر، د. فوزي رشيد، رضا جواد هاشم. تاريخ إيران القديم (بغداد: مطبعة جامعة بغداد، 1979) ص 35، 36.

³¹. طه باقر. مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (ج2) (بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، 1986) ص 366، 367.



ونافست هذه المملكة الآشوريين وأعاققت توسعهم شمالاً حتى تمكن الملك الآشوري سرجون الثاني من إلحاق هزيمة قاسية بهم عام (714 ق.م)،⁽³²⁾ وفي الوقت الذي احتدم فيه الصراع بين الآشوريين والآشوريين، جنوب قزوين كانت المنطقة الواقعة إلى الشمال من بحر قزوين تموج بحركات القبائل الرعوية المحاربة، كالكاميريون والاسكيشيون بينما استقرت قبائل الميديين الإيرانية على سواحلها الجنوبية الغربية، والفرس إلى الجنوب منها، كما استقرت قبائل إيرانية أخرى إلى الجنوب والشرق من بحر قزوين، في الإقليم الذي عرفت به، وهو إقليم بارتوا، فعرفوا بالبارثيين "الفرثيين" وقد وفدت هذه القبائل إلى إيران من أواسط آسيا منذ مطلع القرن التاسع ق.م، وخضع الميديين لنفوذ الآشوريين برهة من الزمن.⁽³³⁾

وتمكن الملك الميدي كي اخسار (633-584 ق.م) انتزاع استقلال الميديين، وأقام إمبراطورية على السواحل الجنوبية لبحر قزوين ضمت إليها معظم إيران، والجزء الشرقي من الأناضول. لكن تمكن قورش الثاني الفارسي "قورش الأكبر" (558-530 ق.م) من القضاء على استقلال الميديين في حدود 550 ق.م وتأسيس الدولة الفارسية القديمة "الآخمينية"⁽³⁴⁾ * على أنقاض الدولة الميديّة والتي كانت أكبر إمبراطورية تظهر حتى ذلك الوقت، فقد شملت معظم أجزاء العالم القديم وسيطرت على السواحل لجنوبية والشرقية والغربية من بحر قزوين.⁽³⁵⁾

وفي القرن الثاني ق.م كانت قبائل الهون، وهم من أقرباء المغول تقطن في منطقة السهوب الواسعة، الممتدة شمال وشمال شرق بحر قزوين بين جبال الأورال، أقصى شرق روسيا الأوروبية وجبال التائي، شمال شرق الصين، وقد لعبت هذه القبائل دوراً كبيراً في التغيرات السكانية والسياسة التي شهدتها العالم القديم، في الفترة التي امتدت من القرن الثاني ق.م حتى القرن الثاني الميلادي. فقد بدأوا بالتحرك من مناطقهم الأصلية غرباً دافعين أمامهم قبائل السهوب الروسية كالسارماتيين والقوط الشرقيين والغربيين،⁽³⁶⁾ * والوندال وغيرهم من القبائل الجرمانية التي تدافعت نحو حدود الإمبراطورية الرومانية، للهروب من خطر الهون مما كان له الأثر المباشر في سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية⁽³⁷⁾ * وتشكيل قوميات أوروبا الحديثة.⁽³⁸⁾

³². هاري ساكز. قوة آشور، ترجمة د. عامر سليمان (بغداد : منشورات المجمع العلمي، مطبعة المجمع العلمي 1999) ص 136، 139.

³³. طه باقر. المرجع السابق، ص 367.

³⁴. نسبة إلى أخمينيس الذي أسس أول دولة للفرس بعد أن وحد قبائلهم في الربع الأخير من القرن الثامن قبل الميلاد .

³⁵. طه باقر، د. فوزي رشيد، رضا جواد هاشم. المرجع السابق، ص 45، 47.

³⁶. * القوط قبائل جرمانية قطنت شمال البحر الأسود وصلتهم جحافل الهون في القرن الرابع الميلادي

³⁷. * سقطت الإمبراطورية الرومانية الغربية سنة (476م). في غضون قرن من غزو الهون لأوروبا

³⁸. عبد الأمير محمد أمين، محمد توفيق حسين. تاريخ أوروبا في العصور الوسطى (بغداد : مطبعة جامعة بغداد، 1980) ص 53 .



أما في جنوب بحر قزوين، فقد تعاقبت كل من الإمبراطورية السلوقية التي ورثت فتوحات الاسكندر الأكبر، والإمبراطورية الفرثية التي سقطت على يد الساسانيين، الذين أحيوا إمبراطورية الفرس ودامت دولتهم منذ عام 224م،⁽³⁹⁾ حتى قضى عليها الفاتحون العرب المسلمون في عهد الخلفاء الراشدين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، بعد أن هزموها في سلسلة من المعارك، أبرزها معركة القادسية في السنة السابعة عشرة للهجرة "637" والتي وتمكن المسلمون إثرها من فتح المدائن عاصمة الفرس.⁽⁴⁰⁾

وجدير بالذكر هنا، أن الاسلام وصل إلى سواحل بحر قزوين، في عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بعد أن تمكن المسلمون من فتح إيران بعد معركة نهاوند عام "19هـ" "639 م" التي هزم فيها جيش المسلمين بقيادة النعمان بن مقرن المزني، مائة وخمسون ألفا من جند الفرس، يقودهم الفيرزان وكانت آخر معركة كبيرة خاضها الفرس أمام المسلمون، تمكن المسلمون بعدها من السيطرة على السواحل الجنوبية لبحر قزوين طوال قرون عديدة.⁽⁴¹⁾

وفي الوقت الذي احكم المسلمون سيطرتهم على السواحل الجنوبية لبحر قزوين، كانت السواحل الشمالية والغربية للبحر تخضع لشعب الخزر تركي الأصل الذي أسس مملكة قوية منذ القرن الخامس الميلادي. وقد اعتنق الخزر اليهودية في القرن السادس وبلغت مملكتهم ذروة اتساعها أواخر القرن السادس ومطلع القرن السابع الميلادي حينما تمكنت من دحر البلغار والاستيلاء على أراضيهم حول البحر الأسود.⁽⁴²⁾

وفي هذا الوقت حصل أول صدام بينها وبين المسلمين، الذين كانوا يتوسعون في القوقاز، إذ فتح الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان أذربيجان عام "18هـ" "638م"، كما تمكن عياض بن غنم من فتح أرمينيا، وبلاد الكرج عام "19هـ" "639 م"،⁽⁴³⁾ وفيما بعد دار صراع طويل بين المسلمين والخزر للسيطرة على السواحل الغربية لبحر قزوين.

³⁹. آرثر كريستسن. إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، مراجعة عبد الوهاب عزام (بيروت : دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د.ت) ص 75، 76 .

⁴⁰. ابي الفرج عبد الرحمن بن محمد بن علي بن الجوزي. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك "ج4" دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا (بيروت : دار الكتب العلمية، 1992) ص 160.

⁴¹. شاكر محمود رامز. نهاوند فتح فارس والقضاء على المجوسية وحكم الأكاسرة "سلسلة الثقافة العسكرية الرقم 69، (بغداد: مديرية التطوير القتالي، دائرة التدريب، 1985) ص 129.

⁴². سليم حداد. مرجع سابق، ص 14، 15.

⁴³. د. محمد نصر مهنا. انتشار الإسلام في آسيا "ج2، منذ الغزو المغولي – دراسة في تاريخ العلاقات الدولية" (الإسكندرية : المكتب الجامعي الحديث، ط2. 1997) ص ص (461) (473) .



وبدأت أولى هذه الحروب عام 642م، واستمرت حتى عام 652م، استطاع الخزر خلالها استغلال الفتن الداخلية التي مرَّ بها المسلمون، بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان ليقبضوا من موقفهم في القوقاز، والحرب العربية - الخزرية الثانية، التي حدثت خلال العهد الأموي، وبدأت عام 720- واستمرت حتى عام 737م، وانتهت باستيلاء مسلمة بن عبد الملك، على بعض المدن والقلاع في أذربيجان، وشن الخزر في زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز، هجوماً على أذربيجان ولكن واليها حاتم بن النعمان، ردهم على أعقابهم.

وفي عام 730م، تلقى العرب أكبر هزيمة على يد الخزر، بقيادة زعيمهم الخاقان بارجيك الذي اجتاحت أذربيجان وأرمينيا، ثم زحف على ديار بكر، وهدد الموصل لكن القائد الأموي، مروان بن محمد تصدى له عام 732م، وتمكن من دحره واسترجاع الأقاليم التي استولى عليها، ثم زحف على مدن الخزر، حتى أعلن بارجيك إسلامه وولائه للخلافة الأموية.

وسرعان ما ارتد الخزر إلى اليهودية، بعد أن أضعفت الخلافات الداخلية الدولة الأموية. واستمر الصراع بين الخزر والبيزنطيين والأرمن والمسلمين في غرب بحر قزوين، حتى سقطت دولة الخزر على يد المغول في القرن الثالث عشر الميلادي،⁽⁴⁴⁾ أما السواحل الشرقية لبحر قزوين فقد خضعت للدول والإمارات الإسلامية المتعاقبة منذ عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك،⁽⁴⁵⁾ إذ فتح القائد المسلم قتيبة بن مسلم الباهلي تلك الأنحاء، بعد سلسلة من المعارك مع الممالك والإمارات الصغدية والتركية التي كانت تحكم تلك الأصقاع، أبرزها معركة بيكند "706" م التي سقطت أثرها مدينة بخارى عاصمة مملكة الصغد.⁽⁴⁶⁾

واستمر قتيبة فاتحاً في تلك الأقاليم التي دعاها العرب بما وراء النهر حتى وصل إلى كاشغر في غرب الصين.⁽⁴⁷⁾ ورغم أن الإسلام اخذ بالانتشار سريعاً بين أبناء إقليم ما وراء النهر، إلا أنه لم يتمكن منهم إلا في القرن التاسع الميلادي.⁽⁴⁸⁾

⁴⁴. سليم حداد. مرجع سابق، ص 16، 17.

⁴⁵. اسماعيل أحمد ياغي، محمد شاكِر. تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر "الجزء الأول - الجناح الآسيوي" (الرياض: دار المريخ، 1995) ص 371.

⁴⁶. د. إبراهيم زعور، د. علي أحمد. تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري (دمشق: منشورات جامعة دمشق، 1995، ص 72، 73.

⁴⁷. و. بارتولد. تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة أحمد السعيد سليمان (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مطابع الهيئة، 1996) ص 74، 75.

⁴⁸. د. سيف الدين الكاتب. أطلس تاريخ العرب والعالم (بيروت: دار الشرق العربي للطباعة والنشر والتوزيع) ص ص (72)، (75)، (81)، (84).



وظلّت مناطق شرق قزوين تخضع للعباسيين في أوج قوتهم، ثم حكمها أو حكم أجزاء منها كل من الدولة الطاهرية والبويهية والایلخانية، ودولة الترك القرخانية، ودولة السلاجقة والدولة الخوارزمية. وكلها إسلامية باستثناء القرخانية،⁽⁴⁹⁾ ثم دخلت كامل سواحل بحر قزوين ضمن إمبراطورية جنكيزخان وتوارثتها الإمارات والممالك المغولية المختلفة، بدءاً من القرن الثالث عشر.⁽⁵⁰⁾

الفرع الثاني: حقبة الإتحاد السوفيتي واثّر إنهيّاره على الأوضاع الجيوبولتيكية في دول حوض بحر قزوين: في نهاية القرن التاسع عشر، كانت روسيا القيصرية قد سيطرت على معظم سواحل بحر قزوين باستثناء الجنوبية منها، التي ظلت تحت حكم إيران، ولم يكن استيلاء الروس على السواحل الغربية لبحر قزوين سهلاً، فقد كلفهم إخضاع شمال القوقاز، حرباً دامت أكثر من خمسين عاماً، ومليوناً ونصف المليون من جنودهم، ولم يتمكنوا من السيطرة عليها، إلّا بعد أن قتلوا وشرّدوا ما يقرب من ثلثي سكانها المسلمين.⁽⁵¹⁾

وبعد قيام الثورة الشيوعية، في تشرين الأول "أكتوبر" من عام 1917م، ورثا الإتحاد السوفيتي (السابق) ما كانت تسيطر عليه روسيا القيصرية من سواحل بحر قزوين، وفي زمن الإتحاد السوفيتي (السابق) واجه المسلمون من الاضطهاد ما تصاغر أمامه اضطهاد القياصرة، فعلى الرغم من إعلان لينين في بداية الثورة لحق تقرير شعوب روسيا لمصيرها ومخاطبته المسلمين بالذات لاستثارتهم ضد الحكم القيصري وضمهم إلى صفوف ثورته، إلا أنه سرعان ما سخر جيشه الأحمر، لسحق الحركات القومية التي قامت في كل مكان من أنحاء الإمبراطورية الروسية، ومثال ذلك سحق الجيش الأحمر للجمهورية الأذربيجانية التي قامت منذ اندلاع الثورة البلشفية، وذلك عام 1918 حيث ارتكب الجيش الأحمر مذبحه باكو التي راح ضحيتها 18000 شخصاً.

وخلاصة القول، إنّ الزعماء السوفييت كانوا يسعون طوال عهد الإتحاد السوفيتي (السابق) إلى تكوين شعب سوفيتي موحد يدين بعقيدة الإلحاد، وسعوا في سبيل ذلك إلى طمس الهويات القومية لشعوب الإتحاد السوفيتي (السابق)، من خلال تقويض مقوماتها والتي يمثل الدين واحداً من أهمها، لذا سعوا إلى القضاء على الأديان، وبالذات الدين الإسلامي الذي كان يمثل الركيزة التي ترتكز إليها الكثير من الشعوب، في تبرير تطلعاتها للانفصال عن الإتحاد السوفيتي.⁽⁵²⁾

⁴⁹. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. الموسوعة العسكرية "ج1" (بيروت : المؤسسة، 1979) ص455، 456.

⁵⁰. د. السيد محمد يونس. المسلمون في جمهورية الشاشان وجهادهم ضد الغزو الروسي (مكة المكرمة : رابطة العالم الإسلامي،

شوال، 1415 هـ) ص 110

⁵¹. إحسان عبد الحميد خن، الشيشان حرب إبادة وجريمة عصر، المرجع السابق، ص 25.

⁵². د. أحمد وهبان، الصراعات العرقية واستقرار العالم المعاصر دراسة في الاقليات والجماعات والحركات العرقية (دم : كتب

عربية، 1998، ص537.



هذا وطوال العقود السبعة من عمرالاتحاد السوفيتي (السابق)، كان الشيوعيون يرفضون فكرة القومية والاديان، ويعتبرونها أفكارا برجوازية رجعية، وقد عمل الشيوعيون باستعمال كل الوسائل بما فيها العنف تارة، والفكر تارة أخرى على طمس الهويات العرقية والدينية، للشعوب غير المتجانسة التي تألف منها الاتحاد السوفيتي (السابق)، آملين بالوصول في النهاية إلى مجتمع موحد متقدم صناعياً وحضارياً تذوب فيه جميع الهويات القومية والدينية، وصولاً إلى فكرة الاممية "البروليتاريا"، التي تتلاشى فيها الهويات العرقية والدينية.⁽⁵³⁾ وبدأت بوادر تصاعد الحركات القومية في مختلف جمهورياتالاتحاد السوفيتي (السابق)،⁽⁵⁴⁾ وكانت أول انتفاضة حدثت في إحدى الجمهوريات السوفيتية في حوض قزوين هي كازاخستان، وهي انتفاضة المآتات في 1986/1/17، والتي حدثت بسبب تعيين روسي لرئاسة الحزب الشيوعي في كازاخستان، إذ خرج عشرة آلاف كازاخي إلى الشوارع وهم يهتفون كازاخستان للكاخاخ وللكاخاخ فقط، وعلى الرغم من أن الانتفاضة قمعت بشدة لكنها دقت ناقوس الخطر وبشرت بتفككالاتحاد السوفيتي، وفي 1989/2/15 أرغم السوفييت بعد حرب دامت ما يقرب من 10 سنوات،⁽⁵⁵⁾ وخسارة 15000 من جنودهم،⁽⁵⁶⁾ على الانسحاب من أفغانستان، والذي عُدَّ هزيمة عسكرية ساحقة، انتقصت من هيبةالاتحاد السوفيتي (السابق) دولياً وداخلياً، وشجعت الشعوب المسلمة الراححة تحت نيرالاتحاد السوفيتي (السابق)، على استعادة شعورها الديني وتطلعاتها القومية، فأخذ دور الإسلام في مجتمعات آسيا الوسطى والقوقاز، يتزايد منذ نهاية السبعينات حتى بلغ ذروته إبان حقبة البيروسترويك.⁽⁵⁷⁾ ولقد أدَّت أجواء الحرية التي وفرتها البيروسترويك والجلانسونست⁽⁵⁸⁾ إلى استفاقة، الاتجاهات القومية والدينية فيالاتحاد السوفيتي (السابق)،⁽⁵⁹⁾ والتي زعمَ السوفييت أنها سويت وتم تجاوزها في نطاق الأممية، التي

⁵³. د. أحمد وهبان، المرجع نفسه، ص 486.

⁵⁴. زبغنيو برجنسكي. رقعة الشطرنج الكبرى " السيطرة الأميركية وما يترتب عليها جيوسراتيجية "، ترجمة مركز الدراسات العسكرية (بيروت : مركز الدراسات العسكرية، ط2، 1999) ص 12

⁵⁵. مسعود الخوند. الموسوعة التاريخية الجغرافية (ج1)، المرجع السابق، ص 56 - 57.

⁵⁶. محمد بودينة. أحداث العالم في القرن العشرين 1980 - 1989 "نهاية النزاع الأفغاني"، تونس : منشورات محمد بودينة، 2000، ص 346 .

⁵⁷. مسعود الخوند. الموسوعة التاريخية الجغرافية (ج1) "الاتحاد السوفيتي (السابق)"، المرجع السابق، ص 47.

⁵⁸. وتعني "إعادة الهيكلة" هي برنامج للإصلاحات الاقتصادية أطلقه رئيس الاتحاد السوفيتي (السابق)، ميخائيل غورباتشوف وتشير إلى إعادة بناء اقتصاد الاتحاد السوفيتي (السابق). أما الجلانسونست فهي لفظ يطلق على سياسة الانفتاح والشفافية في أنشطة جميع المؤسسات الحكومية في الاتحاد السوفيتي (السابق)، بالإضافة إلى منح المواطنين السوفييت حرية الحصول على المعلومات ووقد اطلق الرئيس السوفييتي ميخائيل جورباتشوف هذين المصطلحين في اطار مشروع اصلاحي حاول من خلاله انقاذ الاقتصاد السوفيتي.

⁵⁹. آرندل. الاتحاد السوفيتي (السابق) في ظل غورباتشوف، بيروت : دار الواحة، 1991، ص 27.



حاولوا صهر شعوب الإتحاد السوفيتي (السابق) في إطارها طوال سبعة عقود من عمر الإتحاد السوفيتي (السابق)، وقد تجلّت هذه الظاهرة في ظهور جمعيات واتحادات بدأت ثقافية وانتهت قومية ودينية، وليس أدلّ على ذلك من زيادة عدد المدارس القرآنية في آسيا الوسطى وحوض الفولغا والقوقاز من 83 مدرسة في عام 1985 إلى 3147 عام 1991.⁽⁶⁰⁾

وفيما يخص جمهوريات حوض بحر قزوين، فقد تصاعدت فيها النزعات القومية، ففي كازاخستان نشبت في 16 / 7 / 1989 اضطرابات عرقية هاجم فيها الكازاخيين المجهريين من أصل قوقازي.⁽⁶¹⁾ إزاء هذه الاضطرابات والغليان القومي، اضطرت موسكو إلى تعيين السياسي الكازاخي نور خان نزار باييف زعيماً، للحزب الشيوعي الكازاخستاني، واستبعدت الروسي جينا دي كولبين.⁽⁶²⁾

وبعد أن بدأت ملامح انهيار الإتحاد السوفيتي، تجتاح جمهورياته الأوربية، وصلت تلك التداعيات في غضون أسابيع إلى الجمهوريات السوفيتية المطلة على بحر قزوين ففي 30 / 8 / 1991 أعلنت أذربيجان استقلالها التام عن الإتحاد السوفيتي.⁽⁶³⁾

وقد سبق استقلال أذربيجان استفاقة النزاعات العرقية، والدينية التاريخية، بين الأرمن والأذربيجانيين، والتي رافقت تصاعد المد القومي في الجمهوريتين ففي الفترة من 1988/11/22 – 1989/2/2، أدّت أعمال العنف المتبادل إلى تهجير 141000 أذربيجاني من أرمينيا و158000 أرميني من أذربيجان.

وفي 26/10/1991 أعلنت كازاخستان سيادتها واستقلالها عن الإتحاد السوفيتي وفي 27 / 10 / 1991 أعلنت تركمانستان انفصالها عن الإتحاد السوفيتي، وأخيراً اختتمت مسيرة الإتحاد السوفيتي، باجتماع 11 من رؤساء الجمهوريات السوفيتية في 21 كانون الأول في المآتا عاصمة جمهورية كازاخستان، معلنين أن الإتحاد السوفيتي أصبح جزءاً التاريخ، وبلغ رؤساء الجمهوريات المجتمعين في المآتا غورباتشوف في رسالة رسمية بجل مؤسسة رئاسة الإتحاد السوفيتي (السابق)، وبعد يومين من اجتماع المآتا استقال غورباتشوف من منصبه كرئيس للإتحاد السوفيتي معلنا انتصار دعاة تفكيك الإتحاد السوفيتي.⁽⁶⁴⁾

⁶⁰. مسعود الخوند. الموسوعة التاريخية الجغرافية (ج2) "آسيا الوسطى"، بيروت : دار رواد النهضة للطباعة والنشر، 1994، ص 114.

⁶¹. المرجع نفسه، ص 656.

⁶². د. شوقي أبو خليل أطلس دول العالم الإسلامي "جغرافي - تاريخي - اقتصادي"، بيروت : دار الفكر المعاصر - دمشق : دار الفكر، ط2، 2003، ص 9.

⁶³. مسعود الخوند. الموسوعة التاريخية (ج1) الجغرافية "الإتحاد السوفيتي (السابق)"، مرجع سابق، ص 47.

⁶⁴. محمد بوذينة . أحداث العالم في القرن العشرين 1990 – 1999 "الاتحاد السوفيتي في ذمة التاريخ" ، تونس : منشورات محمد بوذينة ، 2000 ، ص 346.



وهكذا انتهت في غضون شهور قليلة تلك الإمبراطورية التي قهرت 70 عاما مجموعة كبيرة من الشعوب وحاولت دمجها بالقوة وصهرها في كيان إيديولوجي، وأثبتت الاتجاهات القومية والدينية أنها أقوى بكثير من مثل تلك الإيديولوجيا الطارئة على مسرح التاريخ.⁽⁶⁵⁾

المبحث الثاني

تأثير المتغيرات السياسية في تحديد التوصيف القانوني لبحر قزوين

بانهيار الاتحاد السوفيتي، الذي أرسى استقراراً طويلاً في منطقة حوض قزوين، ترك الهدوء والاستقرار الذي كان سائداً بين إيران والاتحاد السوفيتي (السابق) حول بحر قزوين مكانه لتحل محله أجواء المنافسة والمصالح المتقاطعة.

وحصل سجال طويل بين دول حوض قزوين حول المنزلة القانونية لبحر قزوين وكيفية اقتسامه ومر النزاع حول بحر قزوين بعدة مراحل سنتناولها في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول

إشكالية التعريف وتبلور الرؤى

مرت إشكالية تحديد التوصيف القانوني لبحر قزوين بمرحلتين متميزتين من الناحية القانونية، أولها يمثّل بمرحلة التعريف، حيث يكشف التعريف القانوني لبحر قزوين التوصيف القانوني له، وفيه اختلفت الرؤى وتعددت على نحو كبير، أمّا ثاني المرحلتين، فهي مرحلة تبلور الرؤى وتفاعلها، حيث بدأت تستقر بعض الرؤى وتتفاعل على الساحة الإقليمية والدولية.

ويمكن أن نستعرض مضمون هتين المرحلتين في فرعين، كالآتي:

الفرع الأول: مرحلة التعريف وتحديد الرؤى: تمتد من 1991 إلى 1994، تميزت بعدم تبلور موقف كل دولة ونشاط كل دول قزوين في البحث عن تعريفات وحلول تتسجم مع المصالح الوطنية لها، فدول قزوين المستقلة حديثاً، "كازاخستان وأذربيجان وتركمانستان"، اعتبرت أن مصالحها الوطنية فيما يتعلق بحقوقها في بحر قزوين، أهملت طوال حقبة الاتحاد السوفيتي (السابق)، لذا فقد أعلنت كل من الدول الثلاث فور استقلالها عدم اعترافها بالقوة القانونية للمعاهدتين الروسية - الفارسية عام 1921 والسوفيتية - الإيرانية عام 1940. واعتبرتاهما تتعارضان مع مصالحها الوطنية، لكن الدول الجديدة سرعان ما أعلنت اعترافها بتعاقدات الاتحاد السوفيتي (السابق) في إعلان المآتا في 21/1/1991.

⁶⁵. زبغنيو برجنسكي. المرجع السابق، ص 85.



ومع ذلك ففيما يتعلق بالمعاهدات السوفيتية الإيرانية حول بحر قزوين، اعترفت دول حوض بحر قزوين الجديدة بها كمعاهدات دولية، لكنها لم تعترف بأنها ملزمة للدول الجديدة، خاصة وأنها لم تتم على أسس صحيحة، والافتراض بأنها معاهدات متطورة افتراض خاطئ.

وكان للدول الجديدة التي نشأت في حوض قزوين تبريرات عديدة لرفض هاتين المعاهدتين:
أولها: الاحتجاج بأن الدول التي أبرمت المعاهدتين وهي جمهورية روسيا الاشتراكية الاتحادية السوفيتية، والدولة الفارسية بالنسبة لمعاهدة عام 1921، واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية والإمبراطورية الإيرانية بالنسبة لمعاهدة عام 1940، لم تعد موجودة وزالت من خريطة السياسة الدولية.

وثانيها: أن الاتفاقيتين لن تنطبقا إلى الحدود الفاصلة بين جمهوريات الاتحاد السوفيتي (السابق) السابق في بحر قزوين لأن مسائل الحدود كانت من اختصاص السلطات الفيدرالية فحسب. وكان بحر قزوين يخضع للاتحاد السوفيتي ككل ولم يكن من حق الجمهوريات البحث في حدودها البحرية.

وثالثها: أن الاتفاقيتين لم تتضمننا إلا الاتفاق على مسائل الصيد والملاحة في البحر، ولم تحددا الوضع القانوني للبحر، بما في ذلك شروط استغلال الموارد الكامنة في قاع البحر.

وقد لخص نائب وزير خارجية توركمستان، كيبانوف، رأي الدول الجديدة حينما قال " من الواضح أن تغير الجغرافية السياسية لبحر قزوين بظهور الدول الجديدة، أدى إلى معادلة جديدة للمصالح، تتطلب تغييرات جذرية في العلاقات الدولية في بحر قزوين ".⁽⁶⁶⁾

وقد زاد اكتشاف احتياطات كبيرة من مصادر الهيدروكربون من أهمية موارد بحر قزوين، ومن ثمّ احتدّ النزاع حول أحقية كل طرف بهذه الموارد ومحاولته زيادة حصته منها، وهكذا ظهرت وجهات نظر متباينة، تبنتها كل دولة من دول قزوين، حول الإدارة الصحيحة لمواد بحر قزوين، أملت عليها مصالحها الوطنية، وتباينت غالبا مع وجهات نظر دول قزوين الأخرى.⁽⁶⁷⁾

والتساؤل الذي طرح أولاً، لتدور حوله الخلافات ووجهات النظر هو هل أن قزوين بحر ؟ ومن ثمّ تنطبق عليه المعاهدة الدولية للبحار، التي أقرتها الأمم المتحدة عام 1982، والتي تتيح لكل دولة مطلة عليه امتلاك

⁶⁶ RustamMamedov. International Legal Status of The Caspian Sea: Issues of theory and practice ،The Turkish year book ،2001 ،P. 218، 219.

⁶⁷ Yusen Lee. Toward a New International Regime for the Caspian Sea "Cooperation and Competition Foreign Policy" (Seoul ، South Korea :Yonsei University ،the Institute of East،West Studies ،2005) ،P. 37.



مياه إقليمية لها سيادة كاملة عليها ويحق لها استغلال كافة ثرواتها، وتحدد مساحتها بحسب طول سواحل كل دولة، أم أنه بحيرة فيخضع وفقاً للقوانين المتعارف عليها للإدارة المشتركة.⁽⁶⁸⁾

ولم تظهر هذه المواقف مباشرة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي (السابق) ففي المرحلة الأولى "مرحلة التعريف"، الممتدة بين 1991 - 1994 كانت مواقف معظم دول حوض بحر قزوين حول المنزلة القانونية للبحر في مرحلة التبلور، وقد طرح موضوع التعاون في استغلال ثروات بحر قزوين لأول مرة على هامش مؤتمر منظمة التعاون الاقتصادي والبيئي (أيكو) المنعقد في طهران في 17/2/1992.

وقد اقترحت إيران إنشاء منظمة للتعاون في استغلال موارد بحر قزوين، وفي نهاية المؤتمر اتفقت دول قزوين على ضرورة إيجاد آلية موثوقة للتعاون الإقليمي، واتخاذ القرارات المتعلقة باستغلال ثروات بحر قزوين ومصادره. وفي هذه المرحلة المبكرة من بدء النزاع حول المنزلة القانونية لبحر قزوين، كانت مواقف دول حوض بحر قزوين ما تزال في طور التشكل والبحث عن التعريفات المنسجمة مع المصالح الوطنية لكل طرف من الأطراف، وحاولت كل دولة أخذ المبادرة للدفاع عن أولوياتها الوطنية بشكل أفضل.⁽⁶⁹⁾

فتبنت كل من كازاخستان وأذربيجان الرأي القائل بأن قزوين بحر ومن ثم تنطبق عليه معاهدة الأمم المتحدة لقانون البحار، فهما بذلك تحصلان على ما يقرب من 60% من مساحة بحر قزوين لأنهما تملكان 30%، و 29% من سواحل بحر قزوين، أما روسيا التي تمتلك 19% من سواحل بحر قزوين وتوركمستان التي تمتلك 17% من سواحل بحر قزوين فكانت مواقفهما ما تزال غير واضحة، بينما رأت إيران وجوب اعتبار بحر قزوين بحيرة وإنما يجب إن تخضع للاستخدام المشترك لمصادرها، لأن هذه الصيغة تمنح حصة مساوية لحصص الدول الأخرى، بينما لا تمتلك إيران سوى 11% من سواحل بحر قزوين.⁽⁷⁰⁾

كما أن الجزء الخاص بها من بحر قزوين هو الأكثر عمقاً والأصعب استغلالاً، ولا توجد فيه احتياطات مؤكدة من النفط والغاز، وسعيًا لتجاوز تلك الاختلافات، دعت إيران إلى مؤتمر خاص بتقرير المنزلة القانونية لبحر قزوين عقد في طهران للمدة من أيلول - تشرين الأول 1992 وطرحت إيران خلال المؤتمر على دول قزوين الخمس مسودة اتفاقية حول منظمة دول حوض بحر قزوين (OCSC)، واقترحت أن تكون وظيفتها، جمع البيانات حول بحر قزوين وموارده كمرحلة أولى، كما يروج المشروع لإيجاد سياسات موحدة لاستثمار موارد البحر من خلال مفاوضات ومشاورات دورية، تضمن استمرار حالة التعاون بين دول حوض بحر قزوين.

⁶⁸. د. مصطفى دسوقي كسبة. ثروات آسيا الوسطى - قزوين من البترول والغاز (حولية أممي في العالم، مركز الحضارة للدراسات السياسية - مصر، العدد 5، 2008) ص 959.

⁶⁹. RustamMamedov. Ex, P. 219 – 220.

⁷⁰. جانا بوريسوفنا. بحر قزوين والخلافات حول ثرواته "مقال"، جريدة البيان، السبت، 23/7/2011.



واتفقت دول حوض بحر قزوين في نهاية المؤتمر على تحديد مجالات التعاون المشتركة، بما فيها حماية الموارد الطبيعية لبحر قزوين والحفاظ عليها، والاستعمال المثالي لموارده الحيوية، واتباع الطرق التي تحترم المصالح المشتركة وتضمن استمرار المتطلبات البيئية للبحر، وقد أسفر المؤتمر عن إنشاء ست لجان متخصصة تختص إحداها بالمنزلة القانونية لبحر قزوين بينما تختص اللجان الأخرى، بحماية بيئته الطبيعية، والحفاظ على مصادره الحيوية، والملاحة، والبحوث العلمية، ودراسة أسباب الانخفاض والسيطرة على مستوى الماء.

لكنّ اللجنة الوحيدة التي أثبتت فاعليتها هي لجنة حماية المصادر الحيوية. ففي 1993 عقدت في ريشت بإيران مؤتمرا شارك فيه علماء إحياء واسماك وبيئة وممثلو شركات صيد من كافة دول حوض بحر قزوين وقدمت خلاله مسودة اتفاقية حماية المصادر الحيوية لبحر قزوين للمناقشة، ولقد تأكد تعارض مصالح دول حوض قزوين خلال مؤتمر ريشت فيما يتعلق بالمنزلة القانونية للبحر فقد قبل الاقتراح الأذربيجاني لتعريف قزوين كبحر ببرود شديد من قبل روسيا وإيران بينما خيمت اللامبالاة على موقف توركمستان بينما أيدت كازاخستان الطرح الأذري، لكنها فضلت تأجيل مناقشة الوضع القانوني إلى مؤتمر يخص لهذا الغرض.⁽⁷¹⁾

الفرع الثاني: تبلور الرؤى وتفاعلها: استمرت روسيا خلال معظم عقد التسعينات في تأييد الموقف الإيراني، وإن حاولت تقريب وجهات النظر بين دول حوض قزوين،⁽⁷²⁾ وأما كازاخستان فقد اعتبرت قزوين بحراً مغلقاً، واقترحت أن يطبق عليه قانون البحار الدولي لعام 1982، بأقصى درجة ممكنة، مع مراعاة خصائص البحر كمنظومة بيئية موحدة. وتضمن المقترح تقسيم قاع البحر إلى مناطق اقتصادية توزع بين الدول المطلة عليه بحسب طول سواحل كل دولة بدءاً من خط المنتصف، ويكون للدول استغلال الموارد النفطية والغازية في هذه المنطقة، بينما أبدت كازاخستان استعدادها لأقصى درجات التعاون فيما يتعلق بإدارة الموارد البايولوجية، واستعمال البحر للصيد، والملاحة، والتعاون في حماية بيئته الطبيعية، حتى أنها أبدت استعدادها لتقبل الإدارة المشتركة لهذه النشاطات.⁽⁷³⁾

وهذه الآراء طرحت خلال الاجتماع الذي عقد في موسكو للمدة 11-12/ تشرين الأول 1994 لممثليين متخصصين من كل دول حوض قزوين بمبادرة روسية، لمناقشة مسودات الاتفاقية على المنزلة القانونية لبحر قزوين، والتي قدمت من قبل كل من روسيا وأذربيجان وكازاخستان، وعلى الرغم من أهميّة اجتماع موسكو الذي تبلورت خلاله رؤية كل من دول قزوين لكيفية التعامل مع منزلته القانونية، إلا أنه لم يسفر عن نتائج مهمّة، من حيث حل قضية بحر قزوين.

⁷¹ RustamMamedov. Ex ,P. 219 – 220.

⁷² . جانا دورسوفنا المرجع السابق .

⁷³ . سفارة جمهورية كازاخستان في المملكة العربية السعودية. كازاخستان في العالم المعاصر، ترجمة خيرات لاما شريف (جدة : السفارة، 2015) ص 100.



فحتى المسودة الكازاخستانية التي بدت أكثر مرونة واعتدالاً، وأقل تصليباً من المسودة الأذربيجانية، نُظر إليها بتشكك من قبل روسيا وإيران، فالأوضاع الجديدة للبحر لم تتناسب ومصالح هاتان الدولتان اللتان كانتا تتفردان بالتصرف في بحر قزوين، وفقاً للاتفاق التعاقدى السوفيتي الإيراني السابق، لذا حاول، الطرفان تفادي التطورات الجديدة، وعدم الاعتراف ببحر قزوين كبحر أو كبحر مغلق، ومن ثمّ عدم خضوعه لقانون البحار، وفضل الطرفان اعتبار قزوين بحيرة، وبذلك فهو يحتاج لاتفاقية خاصة بين الدول المطلة عليه لتحديد منزلته القانونية، لذلك فقد استبعدت المسودتان الأذربيجانية والكازاخستانية وقدمت بدلاً منها مسودة اتفاقية للتعاون الإقليمي بين دول حوض بحر قزوين تقدمت بها روسيا.⁽⁷⁴⁾ وهكذا انقسمت دول قزوين في منتصف عقد التسعينات إلى مجموعتين تعتمدان رأيين متباينين حول وضعه القانوني.

المجموعة الأولى: التي تضم كازاخستان وأذربيجان صاحبتَي الجزء الأكبر من سواحل البحر وثرواته، والتي ترجح كونه بحراً، وتؤيد تطبيق قانون البحار عليه، ومن ثمّ تقسيم قاعه وسطحه إلى قطاعات وطنية .

المجموعة الثانية: والتي تضم كلاً من روسيا وإيران، والتان انضمت اليهما تركمانستان، بعد اشتداد خلافاتها مع أذربيجان، حول اقتسام ثروات البحر، والتي تريد اعتبار البحر بحيرة ومن ثمّ اقتسام ثرواته بنسب متساوية بين الدول المطلة عليه.⁽⁷⁵⁾

ولكنّ قيام أذربيجان خلال عام 1994م، بالبداية باستثمار موارد الطاقة في قطاعها من بحر قزوين بصورة أحادية، بعد أن وقعت صفقة القرن مع عدد كبير من الشركات الغربية، أدى إلى استياء روسي وإيراني إذ عارضت وزارة الخارجية الروسية التحركات الأذربيجانية بشكل علني.

كما عرض الاتحاد الروسي موقفه بشأن الوضع القانوني لبحر قزوين أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة. إذ عبرت الوثيقة عن استياء روسيا من قيام بعض دول حوض قزوين بإجراءات أحادية الجانب للحصول على مزايا أحادية الجانب على حساب حقوق ومزايا دول البحر الأخرى.⁽⁷⁶⁾

⁷⁴ .RustamMamedov. Ex ،P 219 – 225 .

⁷⁵ . د. مصطفى دسوقي كسبة. مرجع سابق، ص 959.

⁷⁶ .RustamMamedov. Ex، P. 228



المطلب الثاني

سياسة قبول الأمر الواقع والتوصل إلى اتفاقية اکتاو

بينما كانت الحكومة الروسية، تصرُّ على وجهة نظرها في رفض تقسيم قاع بحر قزوين، إلى قطاعات وطنية، كانت تتعرض للضغط من قبل الشركات النفطية الروسية، مثل روس أويل التي كانت تبحث عن حصتها في النفط الأذربيجاني، مخالفة الموقف الرسمي للحكومة الروسية، وحاولت التفاوض مع الشركات الغربية، للدخول كشريك معها في استثمار النفط الأذربيجاني، ولم تمنع الشركات الغربية في ادخالها معها كشريك ثانوي.

وعموماً ساهمت التحركات الأذربيجانية، بتنشيط عملية التفاوض بين دول حوض قزوين، فبعد اجتماع موسكو عقد نواب وزراء خارجية دول قزوين في عام 1995م، اجتماعاً في المآتا توصلوا خلاله إلى اتفاق لإنشاء آلية دائمة، للتفاوض بشأن الوضع القانوني لبحر قزوين على أن تتخذ هذه الآلية شكل مجموعات العمل.⁽⁷⁷⁾

وفي مؤتمر عقده مجموعة العمل في عشق اباد، في نوفمبر من عام 1996 تقرر حصر حل مشكلة بحر قزوين بالدول المطلة عليه فحسب. وفي ذات الوقت استمر العمل على المستوى الثنائي ومتعددة الأطراف للاتفاق على نص مشروعات معاهدة الوضع القانوني واتفاقية الملاحة واتفاقية التنقيب واستخراج الموارد الطبيعية بالبحر.

وبعد ذلك تقرر أن تجري المشاورات في إطار مجموعة عمل خاصة على مستوى نواب وزراء الخارجية لدول قزوين بهدف زيادة فعالية العمل.⁽⁷⁸⁾

وفي كانون الاول 1996 وقعت أذربيجان على اتفاقية مع جورجيا وكرانيا حول نقل نفط بحر قزوين عن طريق خط باكو- سوبسا - اوديسا - برودي - أوروبا الغربية. أدى فشل المفاوضات بين دول قزوين في الحصول على اجماع حول وضعه القانونية إلى تنشيط المفاوضات الثنائية بين بلدان حوض قزوين،⁽⁷⁹⁾

ففي 1998/7/6 توصلت روسيا وكازاخستان إلى عقد اتفاقية، لرسم الحدود الساحلية بين البلدين، على اساس تقسيم الساحل في شمال بحر قزوين إلى قطاعات بحرية لكل منهما، وبذلك اعترفت روسيا لأول مرة بمبدأ قومية القطاعات الساحلية مع ابقاء قاع البحر، بعيداً عن الساحل خاضعاً للاستثمار المشترك.⁽⁸⁰⁾

⁷⁷. عبير ياسين، سياسة خطوط الأنابيب والاستقرار في بحر قزوين (مقال)، مجلة السياسة الدولية، مصر، العدد 151، 2003، موقع منتدى كلية العلوم جامعة المنصورة، مصر على شبكة الانترنت، 2011/2/14.

⁷⁸. سفارة جمهورية كازاخستان في المملكة العربية السعودية. المرجع السابق، ص 100.

⁷⁹. RustamMamedov. Ex , P. 237.

⁸⁰. سليم حداد. مرجع سابق، ص 49.



وهكذا اعترفت روسيا على مضض بمبدأ تقسيم البحر إلى قطاعات وطنية، بعد ان ادركت انها تخلفت في الحصول على فرص نقل النفط عندما بدأت بعض دول قزوين (أذربيجان وكازاخستان وتوركمنستان) في تنفيذ مشاريع تتجاوز روسيا،⁽⁸¹⁾ اضطرت روسيا أخيراً إلى الاعتراف بما كانت ترفضه وهو التقسيم الجزئي لبحر قزوين.⁽⁸²⁾

وقد فاجأ هذا التغير في الموقف الروسي تحت ضغط المصالح الاقتصادية لإيران، التي كانت حتى ذلك الحين تتمسك باتفاقيتي 1921 و1940، كأساس قانوني لموقفها، والمتمثل بالاستثمار المشترك لقاع البحر والذي سيعطيها حصة لا تقل عن 20% من ثرواته، لذلك ابدت ايران رفضها الشديد للاتفاقية الروسية الكازاخية.⁽⁸³⁾

وفي إثناء مؤتمر عقد في العاصمة التركمنستانية عشق آباد، في سبتمبر عام 2001م، قدمت روسيا مذكرة بإنشاء شركة بترولية مشتركة بين روسيا وإيران وكازاخستان، يكون من حقها التنقيب في جميع انحاء البحر، بما في ذلك قطاعات أذربيجان وكازاخستان، ورداً على ذلك أعلن، وفد كازاخستان أن هذا التصرف غير قانوني، وتبنت أذربيجان الموقف الكازاخستاني.⁽⁸⁴⁾

وبعد أحداث 11 سبتمبر عام 2001، برزت توايا واشنطن نفيا الهيمنة على بحر قزوين ومحيطها الإقليمي في وسط آسيا بشكل واضح، وتقربها بشكل كبير من أذربيجان وكازاخستان فضلا عن نشرها قوات جوية وبرية وكبيرة في كل من قرغيزستان وأوزبكستان، بحجة حملتها على أفغانستان، وقد تغاضت روسيا في البداية عن التمدد الأمريكي في آسيا الوسطى بحجة مكافحة الارهاب مقابل تغاضي الولايات المتحدة عن استعادة روسيا للشيشان، وما سيتخلله من انتهاكات مريعة لحقوق الانسان.⁽⁸⁵⁾

وقد رأت موسكو أن من الأفضل لها استراتيجياً، أن تدعم الموقف الأذربيجاني والكازاخي، حتى تفوت الفرصة على واشنطن، خاصة وأن موسكو في كلتا الحالتين، لن تخسر شيئاً اقتصادياً، كما أنها لن تخسر إيران

⁸¹. مثال ذلك قيام كازاخستان بتوقيع اتفاق مع شركة شيفرون الأمريكية لاستغلال حقل تنجيز أكبر حقول بحر قزوين والذي يقع في منطقتها الساحلية، وقيام أذربيجان بتطوير احتياطاتها النفطية في بحر قزوين مع اتحاد الشركات الدولية (كونسيورتيوم).

⁸². Rustam Mamedov. Ex, P. 243.

⁸³. رضوان بو العبرة، انيس بغيلة، صراع الطاقة في بحر قزوين (مذكرة ماجستير منشورة على شبكة الانترنت)، جامعة جيجل – الجزائر، كلية العلوم السياسية، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، 2016، 2017، ص 46.

⁸⁴. سفارة جمهورية كازاخستان في المملكة العربية السعودية. مرجع سابق، ص 100.

⁸⁵. عاطف السعداوي، آسيا الوسطى والقوقاز بعد أحداث 11 سبتمبر : تواجد امريكي تراجع روسي مد استقلالي شيشاني، مجلة امتي في العالم، مركز الحضارة للدراسات والبحوث – مصر، ص 935، 936.



التي تتصاعد حدة خلافاتها مع واشنطن والغرب، بسبب البرنامج النووي الذي تشرف عليه روسيا ومن ثمّ فلن تقوم بخسارة روسيا وهي تتعرض لهذا الضغط الغربي الشديد⁽⁸⁶⁾.

ففي أيلول 2001 قام الرئيس الروسي فلاديمير بوتين بزيارة إلى العاصمة الآذرية باكو، وتم الاعلان المشترك عن مبدأ (مياه مشتركة، قاع مقسم)⁽⁸⁷⁾ وحاولت روسيا تقريب وجهات النظر بين دول قزوين الخمس، إلا أنّ هذا لم يحدث، وفشل اجتماع قادة الدول الخمس الذي عقد العاصمة التوركمينستانية عشق أباد في نيسان 2002، بل تم تفسير هذا الفشل على انه ردة فعل عكسية روسية إيرانية لموازنة التغلغل الأمريكي في المنطقة⁽⁸⁸⁾.

وفي أواخر عام 2002، كانت دول قزوين الاربعة باستثناء ايران قد تبنت الصيغة التي توصلت اليها روسيا مع كل من كازاخستان وأذربيجان (مياه مشتركة قاع مقسم) ولم يبق خارج هذا الاجماع سوى ايران التي تزايد الضغط عليها من قبل بقية دول الحوض للتوصل إلى حل نهائي فتقدمت الدول الاربعة لإيران، باقتراح يتضمن تقسيم الموارد الطبيعية، بدون تغيير حدود المناطق الذي من شأنه رفع حصة ايران من 13,8% إلى 16% من المياه، لكن الإيرانيين لم يوافقوا على هذا المقترح⁽⁸⁹⁾.

وفي كانون الاول 2017 تم كسر حالة الجمود في قضية الوضع القانوني لبحر قزوين، ووافق وزراء خارجية الدول الخمس لبحر قزوين على صيغة توفيقية، تطبق مبدأ القاع المقسم المياه المشتركة مع مراعاة تعويض الدول الأكثر تضررا بسبب ضيق قطاعاتها الوطنية⁽⁹⁰⁾.

وأخيراً وبعد عشرين سنة من الخلافات والمفاوضات، وفي الاجتماع الحادي والخمسين بين دول حوض بحر قزوين، توصلت دول حوض قزوين الخمسة إلى معاهدة عقدت في مدينة اکتاو الكازاخستانية، حددت الوضع القانوني لبحر قزوين بالتوفيق بين المقترعين الذين استندت اليهما رؤى دوله الخمس المستندة إلى مصالحها والنظر إلى بحر قزوين كبحر او بحيرة، وذلك من خلال:

1- التعامل مع سطح البحر كمياه دولية.

2- تقسيم قاع البحر إلى قطاعات اقليمية.

⁸⁶. جانا دورسوفنا، المرجع السابق.

⁸⁷. د. عبد المالك خطاب، الوضع القانوني لبحر قزوين، مجلة العلوم القانونية والسياسية – جامعة خميس مليانة – الجزائر، العدد 9، حزيران، 2014، ص 139.

⁸⁸. عبير ياسين، المرجع السابق.

⁸⁹. د. عبد المالك خطاب، المرجع السابق، ص 141.

⁹⁰. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، مياه مضطربة ومحيط غير مستقر، معاهدة اکتاو حول قضية بحر قزوين المستمرة في إيران، مجلة مسارات، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية – الرياض، العدد 37، ايلول، 2018، ص 7.



3- منح الدول المطلة على البحر حق مد انابيب بحرية لنقل انتاجها من النفط والغاز عبر البحر.

4- قصر التواجد العسكري في البحر على الدول المطلة عليه.

5- كما حددت حصة سنوية لكل دولة من دول البحر لصيد سمك الحفش المنتج للكافيار، والذي يشتهر

به البحر.

ومع أن اتفاق اكتاو قد حسم معظم نقاط الخلاف بين دول حوض بحر قزوين الا انه مازال محل خلاف فإيران تنازلت عن مطالبتها بحصة لا تقل عن 20% لبحر قزوين نزولا على الضغوط الروسية التي جاءت في مرحلة نشوء تحالف استراتيجي معادي للغرب بين روسيا وايران لذلك نشأت معارضة شديدة داخل الاوساط السياسية في ايران، لهذا الاتفاق واتهمت حكومة روحاني التي أبرمتها، ببيع حصة ايران من بحر قزوين. لذا لا يُستبعد مستقبلاً، أن تقوم ايران تحت الضغط الشعبي والنخبوي فيها، بالتراجع عن هذا الاتفاق، خاصة إن تغير الوضع الاستراتيجي بينها وبين الغرب.⁽⁹¹⁾

خاتمة

1- لعب بحر قزوين تاريخياً دور الحد الفاصل بين البداوة والحضارة، فقد قامت جنوب البحر حضارات عدة منها الميديّة والفارسية القديمة (الاحمينية) والبارثية والفارسية الحديثة (الساسانية)، بينما كانت سهوب اوراسة الواقعة شماله تعج بالشعوب البدوية المحاربة، كالاسكيشيين والكميريين والسارماتيين والهون والترك.

2- كان ظهور الاسلام وانتشاره ووصوله إلى سواحل بحر قزوين الجنوبية والغربية والشرقية منعطفاً كبيراً في تاريخ البحر، إذ اصطبغ البحر منذ ذلك الحين بصبغة اسلامية، فخضعت اغلب سواحله لدول اسلامية كالاموية والعباسية والسامانية والسلجوقية والخورزمية.

3- في القرن السادس عشر، كان الروس قد نجحوا في السيطرة على سواحل البحر الشمالية، بينما تنافس العثمانيون والصفويون على سواحله الغربية، ممّا أضعف كلا الطرفين، وقوّى الموقف الروسي ازائهما، فاستطاع الروس السيطرة على سواحل البحر الشرقية والغربية، فضلاً عن سواحله الشمالية، وأواخر القرن التاسع عشر، وورثا لإتحاد السوفيتي (السابق) تلك السيطرة.

4- حاولا لإتحاد السوفيتي (السابق)، وطوال عهده الذي دام 70 عاماً، طمس الهويات القومية والدينية لشعوب المنطقة، لكن تراخي قبضته أواخر الثمانينات، نتيجة للآزمة الاقتصادية والهزيمة السوفيتية في الحرب

⁹¹ د. عبد القادر دندن، حرب الانابيب في آسيا الوسطى وحوض بحر قزوين، مجلة قضايا آسيوية -المركز الديمقراطي العربي للدراسات السياسية والاستراتيجية والاقتصادية - برلين، العدد الثالث، كانون الثاني، 2020، ص9.



الافغانية، أدت إلى استيقاظ النزعات القومية والدينية في تلك الدول، التي سرعان ما استقلت واعادت انتاج نفسها ثقافياً ودينياً.

5- خاضت دول حوض بحر قزوين نزاعاً قانونياً وسياسياً، لعبت الدوافع الاقتصادية فيه دوراً كبيراً حول مسألة الوضع القانوني لبحر قزوين، وهل هو بحر أم بحيرة، وكيف يجب اقتسام ثرواته بين دوله، وحاول كل طرف في هذا النزاع دعم وجهة نظره، التي شكّلها إنطلاقاً من مصالحه، لكن في النهاية تم التوصل - بعد مفاوضات دامت عقدين من الزمان - إلى صيغة توفيقية، تمخضت عن معاهدة أكتاو، التي حددت الوضع القانوني لبحر قزوين سنة 2018.

قائمة المراجع والمصادر

أ- الكتب:

1. زعرور إبراهيم ، علي أحمد، تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري (دمشق: منشورات جامعة دمشق، 1995-1996).
2. الجوزي ابي الفرج عبد الرحمن بن محمد بن علي بن الجوزي. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك "ج4" دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا (بيروت : دار الكتب العلمية، 1992).
3. خن إحسان عبد الحميد. الشيشان - حرب إبادة وجريمة عصر (دمشق: وزارة الثقافة والإعلام، 1997).
4. وهبان أحمد، الصراعات العرقية واستقرار العالم المعاصر دراسة في الاقليات والجماعات والحركات العرقية (د.م : كتب عربية، 1998)
5. كريستنسن آرثر، إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، مراجعة عبد الوهاب عزام (بيروت : دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د.ت).
6. ياغي اسماعيل أحمد ، وشاكر محمد. تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر "الجزء الأول - الجناح الآسيوي" (الرياض : دار المريخ، 1995).
7. دار المشرق .المنجد في الإعلام، ط7 (بيروت : الدار، 1973).
8. برجسكي زبغنيو، رقعة الشطرنج الكبرى " السيطرة الأميركية وما يترتب عليها جيوسراتيجية "، ترجمة مركز الدراسات العسكرية (بيروت : مركز الدراسات العسكرية، ط2، 1999).
9. سفارة جمهورية كازاخستان في المملكة العربية السعودية. كازاخستان في العالم المعاصر، ترجمة خيريات لاما شريف (جدة : السفارة، 2015).



10. حداد سليم، منطقة بحر قزوين وأهميتها الاستراتيجية في العلاقات الدولية (د.م : دار المساعدة السورية للتأليف والترجمة والنشر، 2003).
11. يونس السيد محمد، المسلمون في جمهورية الشاشان وجهادهم ضد الغزو الروسي (مكة المكرمة : رابطة العالم الإسلامي، شوال، 1415 هـ).
12. الكاتب سيف الدين، أطلس تاريخ العرب والعالم (بيروت: دار الشرق العربي للطباعة والنشر والتوزيع).
13. شاكر محمود رامز، نهاوند فتح فارس والقضاء على المجوسية وحكم الأكاسرة "سلسلة الثقافة العسكرية الرقم -69" (بغداد: مديرية التطوير القتالي، دائرة التدريب، 1985).
14. شركة ترادكسيم – شركة سويسرية مساهمة. المعرفة، المجلد السادس عشر (بيروت : مطابع الأهرام التجارية، 1970)
15. شركة ترادكسيم – شركة سويسرية مساهمة. مجلة المعرفة "المجلد الثاني" (بيروت : الشركة، مطابع الأهرام التجارية، 1970).
16. أبو خليل شوقي، أطلس دول العالم الإسلامي "جغرافي -تاريخي -اقتصادي"، بيروت : دار الفكر المعاصر – دمشق : دار الفكر، ط2، 2003.
17. المحمدي صدام فيصل والمشهداني سعود أحمد، مبادرة الحزام والطريق، مشروع للتنمية الشاملة تقدمه الصين للعالم، دراسة قانونية بمنظور جيوسياسي، إصدارات مركز الرافدين للحوار (31)، النجف الأشرف 2023.
18. باقر طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (ج2) (بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، 1986).
19. باقر طه، رشيد فوزي، هاشم رضا جواد، تاريخ إيران القديم (بغداد : مطبعة جامعة بغداد، 1979).
20. عاطف السعداوي، آسيا الوسطى والقوقاز بعد أحداث 11 سبتمبر : تواجد امريكي تراجع روسي مد استقلالي شيشاني، مجلة امتي في العالم، مركز الحضارة للدراسات والبحوث – مصر.
21. أمين عبد الأمير محمد، حسين محمد توفيق، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى (بغداد : مطبعة جامعة بغداد، 1980).
22. الشحف فريد حاتم، العلاقات الروسية الإيرانية وأثرها على الخريطة الجيوسياسية في منطقة الخليج العربي ومنطقة آسيا الوسطى والقفقاس (دمشق: دار الطليعة الجديدة، 2005).



23. بوذينة محمد، أحداث العالم في القرن العشرين 1980 – 1989 "نهاية النزاع الأفغاني"، تونس : منشورات محمد بوذينة، 2000.
 24. بوذينة محمد، أحداث العالم في القرن العشرين 1990 – 1999 "الاتحاد السوفيتي في ذمة التاريخ"، تونس : منشورات محمد بوذينة ، 2000.
 25. مهنا محمد نصر، انتشار الإسلام في آسيا "ج2- منذ الغزو المغولي – دراسة في تاريخ العلاقات الدولية" (الإسكندرية : المكتب الجامعي الحديث، ط2. 1997).
 26. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، مياه مضطربة ومحيط غير مستقر ،معاهدة اكتاو حول قضية بحر قزوين المستمرة في إيران، مجلة مسارات، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية – الرياض، العدد 37، أيلول، 2018.
 27. الخوند مسعود، الموسوعة التاريخية الجغرافية "ج1"، "الإتحاد السوفيتي (السابق)" أبخازيا" (بيروت : دار رواد النهضة للطباعة والنشر ، 1994).
 28. الخوند مسعود، الموسوعة التاريخية الجغرافية (ج2) "آسيا الوسطى"، بيروت : دار رواد النهضة للطباعة والنشر ، 1994.
 29. نخبة من العراقيين المختصين، أطلس العراق والوطن العربي والعالم، (بغداد : دار القرطاسية، د.ت).
 30. هـ. ج. ويلز. موجز تاريخ العالم، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد (القاهرة : كتب عربية، 1958).
 31. هاري ساكز، قوة آشور، ترجمة د. عامر سليمان (بغداد : منشورات المجمع العلمي، مطبعة المجمع العلمي 1999).
- الرسائل والاطاريح الجامعية:**
1. بو الغبرة رضوان، بغيلة انيس، صراع الطاقة في بحر قزوين (مذكرة ماجستير منشورة على شبكة الانترنت)، جامعة جيجل – الجزائر، كلية العلوم السياسية، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، 2016-2017.
 2. النجار فهمي، الحرب النفسية "أضواء إسلامية"، "سلسلة الرسائل الجامعية 40" (الرياض: دار الفضيلة، 2005).
 3. المقالات والأبحاث العلمية المنشورة:
 4. طاهر أحمد (استغلال ثروات بحر قزوين –الفرص والمعوقات) مجلة السياسة الدولية العدد 180، نيسان، 2010.



5. خطاب عبد المالك، الوضع القانوني لبحر قزوين، مجلة العلوم القانونية والسياسية – جامعة خميس مليانة – الجزائر، العدد 9، حزيران، 2014.
 6. ياسين عبير، سياسة خطوط الأنابيب والاستقرار في بحر قزوين (مقال)، مجلة السياسة الدولية – مصر – العدد 151، 2003، موقع منتدى كلية العلوم جامعة المنصورة – مصر.
 7. كسبة مصطفى دسوقي، ثروات آسيا الوسطى – قزوين من البترول والغاز (حولية أمتي في العالم، مركز الحضارة للدراسات السياسية – مصر، العدد 5 – 2008).
- المواقع الإلكترونية:

1. علّو أحمد، بحر قزوين "بحث"، مجلة الجيش اللبناني العدد، 300 – حزيران – 2010، متاح على الرابط الإلكتروني: <https://www.lebarmy.gov.lb/ar/content> اطلع عليه بتاريخ 2024/4/21.
 2. السيد إيمان، بحر قزوين، موقع البحار على شبكة الانترنت – <https://archive.org/download/ktp2019-tra5363/ktp2019-tra5363.pdf> منشور بتاريخ 20/4/2009.
 3. بوريسوفنا جانا، بحر قزوين والخلافات حول ثرواته "مقال"، جريدة البيان، – <https://www.albayan.ae/opinions/articles/2011-07-23-1.1476032> اطلع عليه في السبت، 13/7/2023.
- ثانياً: المراجع باللغة الإنجليزية:

1. Nicoia Aladin and Igor Polatinkov. The Caspian sea (Thematic paper) Lake Basin Management Initiative, 28\June\2004.
2. Patrick K.O Brien. Phillip, s Atlas of World (London: Imprint of Octopus Publishing Group, Second edition, 2005).
3. Rustam Mamedov. International Legal Status of The Caspian Sea: Issues of theory and practice, The Turkish year book, 2001.
4. United Nations Environment Program. Global International waters assessment. Regional assessment 23-Caspian sea, United Nations Environment Program, 2006.
5. Yusen Lee. Toward a New International Regime for the Caspian Sea "Cooperation and Competition Foreign Policy" (Seoul - South Korea: Yonsei University, the Institute of East-West Studies, 2005).